

حَقِيقَةُ كِتَابِ الْأَضْدَادِ الْمُنْسُوبِ لِلْأَصْمَعِيِّ

أ. نزهة سلاف بندي عبد الله

جامعة سيدس بلعباس

مقدمة:

اهتم العرب بجمع مفردات اللغة العربية منذ القرن الثاني الهجري، وكان مما جمعه الأضداد، وهي خاصية من خصائص لغتنا، والتي تميزها عن سائر لغات العالم، فمنهم من خصص لها كتابا مثل الأضداد لقطرب ومنهم من جعلها جزء من مادة كتابه كالأزهري في تهذيب اللغة، ومنهم من خصص لها بابا في كتابه، مثل أبي عبيد في كتابه الغريب المصنف.

ويعدّ الأصمعي وابن السكيت من الأوائل الذين أفردوا لهذه الظاهرة كتابا بعنوان الأضداد، وقد أثار كتاب الأصمعي الكثير من الجدل حول صحة نسبته، فمنهم من يجزم بنسبته إليه، ومنهم من ينفي ذلك ويعده رواية ثانية لكتاب ابن السكيت.

فأي رواية هي الأصح؟ وما حقيقة كتاب الأضداد المنسوب للأصمعي؟

هذا ما سأحاول الكشف عنه من خلال العودة إلى "كتاب الأضداد" لابن السكيت و"كتاب الأضداد" للأصمعي، والمقارنة بينهما، بالإضافة إلى كتب التراث التي استقت مادتها منهما.

أولاً: الأصمعي وكتابه الأضداد¹:

أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن عبد شمس الأصمعي، من أهل البصرة، ولد سنة اثنتين وقيل ثلاث

وعشرين ومائة، قدم بغداد في أيام هارون الرشيد، كان إمام زمانه في اللغة بشهادة الجميع، قال المبرد: "كان الأصمعي بحرا في اللغة لا يُعرف مثله فيها وفي كثرة الرواية"²، وقال أبو الطيب اللغوي: "كان أتقن القوم للغة وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم منافسة"³ وكان راوية ثقة، فقد قال ابن معين: "لم يكن ممن يكذب، وكان من أعلم الناس في فقه"⁴ وقال إسحاق الموصلي: "لم أر الأصمعي يدّعي شيئا من العلم فيكون أحد أعلم به منه"⁵.

روى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، وقرّة بن خالد ومِسْعَر بن كِدَام، وابن عون، ونافع بن أبي نعيم، وسليمان التيمي، وشعبة وبكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة، وحماة بن سلمة، وسلمة بن بلال، وعمرو بن أبي زائدة.

وروى عنه ابن أخيه عبد الرحمن بن عبد الله، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي، وأحمد بن محمد اليزيدي.

وقد أغنى المكتبة العربية بالكثير من المؤلفات وفي شتى المجالات، فله من التصانيف: "كتاب خلق الإنسان"، و"كتاب الأجناس"، و"كتاب الأنواء"، و"كتاب الإبل"، و"كتاب الأراجيز"، و"كتاب الخيل"، و"كتاب الاشتقاق"، و"كتاب المصادر"، و"كتاب السلاح"، و"كتاب الهمز"، و"كتاب المقصور والممدود"، و"كتاب غريب الحديث" وغيرها.

توفي سنة ستّ عشرة، وقيل أربع عشرة، وقيل سبع عشرة ومائتين، بالبصرة وقيل بمرو.

ومن بين كتبه أيضا "كتاب الأضداد"، وقد نسب إليه كل من القفطي في كتابه "إنباه الرواة" وابن خلكان في كتابه "وفيات الأعيان" والصفدي في "الوافي بالوفيات" والسيوطي في "بغية الوعاة" والبغدادلي في "خزانة الأدب" واسماعيل البغدادي في "هدية العارفين"⁶.

وقد قيل أن هذا الكتاب قد ضاع، وما وصلنا ما هو إلا نسخة ثانية عن كتاب الأضداد لابن السكيت، وهذا ما ذكره أحمد الشرقاوي، حين قال في حديثه عن كتاب الأضداد للأصمعي: "هو من كتب الأصمعي الضائعة، وما نشره هفner في المجموعة المسماة "ثلاثة كتب في الأضداد" والمطبوعة في بيروت سنة 1912م ليس إلا نسخة من أضداد ابن السكيت"⁷.

فقد اختلفت الآراء حول صحة نسبة الكتاب إلى الأصمعي، بين مؤيد ومعارض، وحاول كل طرف تقديم الأدلة لإثبات صحة رأيه، والجدول الموالي يوضح ذلك⁸:

الطرف المعارض لنسبة الكتاب إلى الأصمعي	الطرف المؤيد لنسبة الكتاب إلى الأصمعي
-وردت العبارات ذاتها في الكتاتين وبالترتيب ذاته، إلا فيما قلّ.	-أثبتت كتب التراجم أن ابن السكيت هو تلميذ الأصمعي، فلا شكّ أنّه حاول وضع كتاب على غرار كتاب أستاذه في المادة والمنهج، بعدما قام بتعديل بعض العبارات وتقويم أخرى، فقد اختلف الكتابان في تسلسل الجذور وفي ترتيبها وأيضاً في معالجة كثير من الأضداد، مثل: حزور وجون.
-أكثر الأضداد الواردة في كتاب الأصمعي وردت في كتاب ابن السكيت.	-مجموع الأضداد في كتاب الأصمعي مائة وخمسة، أما عند ابن السكيت فلا يزيد عن أربعة

وتسعين لفظا.	
-الرواية عن الشيوخ وردت بنسب مجموعة من الشيوخ واللّغويين الذين وردت أسماؤهم أيضا في كتاب الأصمعي.	-روى ابن السكيت في كتابه عن
-إرجاع الكلمة إلى المادة المجردة المشتق منها اللفظ.	-إرجاع الكلمة إلى أصلها المجرد هو
-تكرر اسم الأصمعي في كتابه الأصمعي صراحة، مثل "قال الأصمعي"، مما يدل على أن المؤلف شخص آخر.	-الرواية عن الشيوخ وردت بنسب مجموعة من الشيوخ واللّغويين الذين وردت أسماؤهم أيضا في كتاب الأصمعي.
-ابن السكيت روى، هو أيضا عن البصريين، فهل هذا يعني أن الكتاب ليس له.	-ابن السكيت روى، هو أيضا عن البصريين، فهل هذا يعني أن الكتاب ليس له.

ومن أيد نسبة كتاب الأضداد للأصمعي محمد حسين آل ياسين الذي قال، بعد عرضه لأوجه الاختلاف بين الكتاتين: "إذن فكتاب الأضداد للأصمعي ليس نسخة أخرى من كتاب ابن السكيت سقطت منه صفحة العنوان بل هو للأصمعي نفسه"⁹، أما حسين نصار فكان من المعارضين وهذا يظهر في قوله: "إنها بكل يقين- رواية أخرى من أضداد ابن السكيت"¹⁰.

وهناك رأي ثالث يرى أن كتاب الأضداد لابن السكيت ما هو إلا رواية ثانية عن كتاب الأضداد للأصمعي، وهذا ما نستشفه من قول أوغست هفتر، الذي كان له سبق في نشر كتابي الأضداد للأصمعي وابن السكيت: ¹ يتضح من مطالعة كتاب الأضداد لابن السكيت أنه تتبع كتاب الأضداد للأصمعي، إلا في ما ندر، فيورد العبارات ذاتها وبالترتيب ذاته ويرفع إلى الأصمعي ما يورده عنه قائلا: "قال أبو سعيد" أو "قال الأصمعي" أو "الأصمعي" مكتفيا بذكر اسمه في بدء ما ينقله عنه، ومن ثمّ يمكن اعتبار كتاب الأضداد لابن السكيت كرواية ثانية لكتاب الأصمعي" ^{1 1}.

فما مدى صحة هذه الآراء؟ هذا ما سأحاول الوصول إليه بإذن الله، من خلال دراسة أوجه التشابه والاختلاف بين الكتابين من جهة، وبالا اعتماد على غيرهما من الكتب، لاسيما كتاب الأضداد لأبي الطيب اللغوي، الذي جعل كتاب الأضداد للأصمعي موردا من موارده من جهة أخرى.

ثانيا: كشف حقيقة كتاب الأضداد للأصمعي

اشترك كتاب الأضداد للأصمعي الذي وصلنا وكتاب الأضداد لابن السكيت في أمور كثيرة، واختلفا في أخرى، إلا أن هذا الاختلاف يبقى ضئيلا مقارنة بأوجه التشابه.

فقد استغنى الكتابان عن المقدمة التي تبيّن الهدف المنشود من التأليف، فكل من ألف في الأضداد كان له هدف يصبو إليه من خلال كتابه، فقطرب على سبيل المثال جمع الأضداد لطرافتها، إذ يقول: "وإنما خصصناه بالإخبار عنه لقلته في كلامهم ولطرافته" ^{1 2}، والسجستاني أراد

خدمة القرآن الكريم، وتنبه من لا يعرف لغات العرب إلى التضاد المشهور في كلامهم، حتى يتسنى لهم فهم آيات القرآن فهما صحيحاً^{3 1}، أما ابن الأنباري فكان له هدف آخر، وهو الرد على من اتهم العرب بقلّة حكمته ونقصان بلاغته، حيث قال في مقدمة كتابه: "هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين، ويظنّ أهل البدع والزيغ والإزاء بالعرب، أنّ ذلك كان منهم لنقصان حكمته وقلة بلاغته، وكثرة الالتباس في محاوراتهم"^{4 1}

وهذا ما نفتقده في كتاب ابن السكيت والكتاب المنسوب إلى الأصمعي، والذي لم يبدأ حتى بالبسملة كباقي كتبه، ولم يُذكر فيه حتى الراوي الذي روى عن الأصمعي، باعتبار أن تكرار عبارة "قال الأصمعي" أو "قال أبو سعيد" في كتاب الأضداد، إن صحت نسبته إليه، دليل على وجود الراوي، وهذا ما يرجّح فرضية أن الصفحة الأولى من المخطوط ضاعت، وبما أن المخطوط بدأ بعبارة "قال الأصمعي" نسبه إليه الناشر.

ولم يعتمد ابن السكيت منهجية معينة في ترتيب أضداده، فهو لم يرتبها بحسب أوائل الأصول ولا أواخرها، ولا بحسب الأبنية مما يجعل العثور على الكلمة أمراً صعباً، فنجد على سبيل المثال يبدأ بـ"قرأ، فشعب، فعسّس ثم أقوى..."، وهكذا إلى آخر الكتاب، وهذه الطريقة متبعة أيضاً في كتاب الأضداد المنسوب للأصمعي وأغلب كتب الأضداد التي وصلتنا، باستثناء كتاب الأضداد لأبي الطيب اللغوي الذي اعتمد الترتيب الأبجدي، وربما مردّ ذلك أن الهدف كان جمع كل الأضداد وحصرها بالدرجة الأولى بغض النظر عن طريقة الترتيب.

وما يلفت الانتباه هو أن الأضداد في الكتاب المنسوب للأصمعي وردت بنفس ترتيب أضداد ابن السكيت إلا في بعض المواضع، وهذا ما يظهر في الجدول الموالي:

كتاب الأضداد لابن السكيت	كتاب الأضداد للأصمعي
قرأ، شعب، عسعس، أقوى، عفا، جلل، سجر، ضرا، رها، صرى، قلص، خجل، قهم، لفأ، قرع، عبد، وجه، شمل، شرى، أدا، قسط، تلح، حزر، وري، شام، غفر، سرّ، خفا، رجا، قنيص، كريّ، غريم، مولى، أكرى، إهماد، باع، مثل، شوه، صار، فرع، بثر، ظنّ، سدف، جَوْن، نهل، فاز، شف، شيح، طلع، لمق، جلعب، هجد، منّ، صرم، رتا، خلّ، سجد، عين، قور، سواء، خشب، غضا، وثب، أرى، ثنى، شرر، كأس، طعينة، روى، حفص، ثغب، ناء، هاب، قنع، نبل، فكه، أمين، كرى، باع، ربب، بين، ظلم، غلب، صرخ، فرى، زية، قدع، دعر، فجع، ركب، خلوف، طلب، أشكى، أودع، أخلف، قرحان، غابر، طرب، ذفر، بلو، قشيب، شرى، ساقب، صرد، عرد.	قرأ، شعب، عسعس، أقوى، عفا، جلل، سجر، ضرا، رها، صرى، قلص، خجل، قهم، لفأ، قرع، عبد، وجه، شمل، شرى، أدا، قسط، تلح، حزر، وري، شام، غفر، سرّ، خفا، رجا، قنيص، كريّ، غريم، مولى، أكرى، إهماد، باع، مثل، شوه، صار، فرع، بثر، ظنّ، سدف، جَوْن، نهل، فاز، شف، شيح، طلع، لمق، جلعب، هجد، منّ، صرم، رتا، خلّ، سجد، عين، قور، سواء، خشب، غضا، وثب، أرى، ثنى، شرر، كأس، طعينة، روى، حفص، ثغب، ناء، هاب، قنع، نبل، فكه، أمين، كرى، باع، ربب، بين، ظلم، غلب، صرخ، فرى، زية، قدع، دعر، فجع، ركب، خلوف، طلب، أشكى، أودع، أخلف، قرحان، غابر، طرب، ذفر، بلو، قشيب، شرى، ساقب، صرد، عرد.

فمن خلال المقارنة يتبيّن لنا أن أغلب الأضداد وردت بالترتيب نفسه في الكتّابين، ما عدا "صرى، عبد، غريم، كريّ، شرى، قرحان، فجع،

ذعر، صرخ"، فهل يمكن أن يصل التشابه إلى هذا الحد، خاصة أن الترتيب لم يعتمد على طريقة معينة؟

وهناك أضداد وردت في الكتاب الأول ولم ترد في الكتاب الثاني، والعكس صحيح، وهذا ما سأحدث عنه في أوجه الاختلاف، إن شاء الله.

أرجع ابن السكيت الأضداد إلى أصلها المجرد، ولكنه خالف هذه القاعدة في بعض الأحيان، فمثلاً: أقوى، قنيص، مولى، طعينة، لم تدرج تحت جذورها (قوي، قنص، ولي، ظعن) وهذا ما يثبت وجود خلل في المنهجية المتبعة، والشيء نفسه يتكرر في الكتاب المنسوب إلى الأصمعي، فإذا كان هذا الكتاب حقاً للأصمعي ألم يكن من المفروض أن يتدارك ابن السكيت هذا الخلل.

وروى ابن السكيت عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني، وأبي عمرو بن العلاء، وابن الأعرابي، والفراء، وأبي زيد، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وكل هؤلاء الشيوخ واللغويين، باستثناء أبي عبيد، وردت أسماءهم في الكتاب المنسوب إلى الأصمعي، وفي المواضع نفسها، في أغلب الأحيان.

ويوجد تشابه كبير جداً بين الكتاتين في عرض المادة، فالجمل والعبارات والشواهد، تتكرر بشكل ملفت للانتباه، إن لم أقل أنها تتطابق، حتى يصح القول إن الكتاتين لمؤلف واحد، والأمثلة على ذلك كثيرة وفيما يلي بعض النماذج التي ستبرز أوجه التشابه بين المؤلفين:

كتاب الأضداد لابن السكيت ¹⁶	كتاب الأضداد للأصمعي ¹⁵
تلع: والتلاع مجاري الماء من أعالي الوادي، والتلاع ما انهبط من	تلع: والتلاع مجاري الماء من أعالي الوادي، والتلاع ما انهبط من

الأرض، قال زهير: ¹⁷	الأرض، قال زهير:
وإني متى أهبط من الأرض ثلعةً	وإني متى أهبط من الأرض ثلعةً
أجد أثرًا قبلي جديدًا وعافيا	أجد أثرًا قبلي جديدًا وعافيا

-فما ورد في كتاب الأضداد المنسوب للأصمعي هو نسخة طبق الأصل لما جاء به ابن السكيت، فالجذر واحد والشاهد نفسه والشرح كذلك.

كتاب الأضداد لابن السكيت ¹⁹	كتاب الأضداد للأصمعي ¹⁸
فري: ويقال فري الأديم يفريه فرياً إذا قطعه، وقد فري المزادة يفريها فرياً إذا خرزها، والخرار الفاري ، ويقال للمزادة الجديدة مفريّة، قال زهير:	فري: ويقال فري الأديم يفريه فرياً إذا قطعه، وقد فري المزادة يفريها فرياً إذا خرزها، والفاري الخارز، ويقال للمزادة الجديدة مفريّة، قال زهير ²⁰ :
ولأنت تفري ما خلقتَ وبعـ ضُ القوم يخلقُ ثم لا يفري	ولأنت تفري ما خلقتَ وبعـ ضُ القوم يخلقُ ثم لا يفري
قال الأصمعي: الخالق الذي يقدر ويهيئ المقطع، والفري القطع، يقول: إذا تهيأت الأمر مضيت له.	قال الأصمعي: الخالق الذي يقدر ويهيئ المقطع، والفري القطع، يقول: إذا تهيأت الأمر مضيت له.

- أشار ابن السكيت إلى اشتقاقات الكلمة، فذكر ماضي الفعل ومضارعه ومصدره، في قوله: "فري يفري فرياً، وهذا ما يلاحظه أيضاً في الكتاب الأول.

- ما ورد في كتاب الأضداد للأصمعي تكرر في الأضداد لابن السكيت، فالعبارات نفسها والترتيب كذلك، فقد بدأ ابن السكيت بذكر المعنى الأول لفري، فالمعنى الثاني، ثم قدم شاهداً، وختمه بقول الأصمعي، والشيء نفسه نجده في كتاب الأضداد المنسوب إلى الأصمعي.

- وظّف الشاهد نفسه في الكتاين للدلالة على المعنى الأول لكلمة "فري" وهو القطع، ولا وجود لشاهد عن المعنى المضاد.

كتاب الأضداد للأصمعي ²¹	كتاب الأضداد لابن السكيت ²²
شرى: قال أبو عبيدة: شراء المال بمنزلة شواة المال أي رذال المال، والجميع شرى، كقوله:	شرى: قال أبو عبيدة: شراء المال بمنزلة الشواة رذال المال، والجمع شرى، كقوله:
مُغَادِرَاتٍ بِالشَّرَى الْمُحْسَلِ	مُغَادِرَاتٍ فِي الشَّرَى الْمُحْسَلِ
أي المبقى المتروك، والشراء في لغة بعضهم خيار مَسَانٍ من الإبل وكرمتها وكرائمها كقوله:	أي المنفي المزدول، والشراء في لغة بعضهم خيار مَسَانٍ الإبل وكرمتها كقوله:
من الشِّرَاة رَوْقَةَ الْأَمْوَالِ	من الشِّرَاة رَوْقَةَ الْأَمْوَالِ

- هناك اختلاف في بعض الكلمات مثل: الجمع والجميع، والمحسل والمخسل وكرمتها وكرائمها، وكذلك في شرح الشاهد، ويبقى هذا الاختلاف طفيفاً لا يؤثر في التشابه الموجود بين الكتاين.

- أرجعت كلمة شراء إلى جذرها "شرى" في الكتاين.

-استند ابن السكيت إلى قول أبي عبيدة، واستشهد بشاهدين لإثبات المعنى الأول لشراة، وهو رذال المال، ومعناها المضاد أيضا أي خيار مسان الإبل، وأورد جمع الكلمة، وهذا ما ورد أيضا في الكتاب الأول وبالترتيب نفسه.

ولكن هذا لا ينفي وجود بعض الاختلافات في عرض المادة لبعض الأضداد إما بالزيادة أو بالنقصان، مثل مادة عسّس:

كتاب الأضداد لابن السكيت ²⁴	كتاب الأضداد الأصمعي ²³
عسّس: أبو عبيدة: يقال: عَسَّس الليل إذا أقبلت ظلماءه، قال: وقال بعضهم: عسّس إذا ولّى، قال علقمة التيمي: حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهُ تَنَفَّسَا وَانْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسَّسَا	عسّس: وقال أبو عبيدة: يقال: عَسَّس الليل إذا أقبل، وعسّس أدبر، وأنشد لعلقة بن قرط التيمي: مُدْرَعَاتُ اللَّيْلِ لَمَّا عَسَّسَا أي أقبل، وقال بعضهم عسّس إذا ولّى، قال علقمة التيمي: حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهُ تَنَفَّسَا وَانْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسَّسَا

-هناك اختلاف بين المادتين، ولكن بإمعان النظر، يمكن القول أن هناك عبارة ساقطة، فالشاهد المذكور في الكتاب الثاني ليس لعلقة التيمي، وإنما لعلقة التيمي.

ومجموع الأضداد في كتاب ابن السكيت واحد وتسعون لفظا، من ضمنها لفظ ليس من الأضداد، وهو "الانقياص" الذي ورد تحت جذر "قيص" ففي حقيقة الأمر أنّ هذه الكلمة ذكرت في البيت الشعري من

مادة "قلص" ثم تم شرحها لتوضيح معناها، وهذا يتجلى في كتاب الأضداد المنسوب إلى الأصمعي وكتاب الأضداد لابن الأنباري وكتاب الأضداد لأبي الطيب اللغوي^{2 5}، أما في كتاب ابن السكيت فقد وردت مستقلة، وهذا خطأ لأنها ليست من الأضداد، في حين يحوي كتاب الأضداد المنسوب للأصمعي مائة وخمس كلمات في الظاهر ولكن الحقيقة أن هناك ضد تكرر مرتين، وهو "الكري"، مع اختلاف في العبارة إلا أن المعنى واحد، فقال المؤلف في المرة الأولى: "الكريّ المُستأجر والكريّ المُستأجر"^{2 6} وقال في المرة الثانية: "الكريّ المُكري والمُكثري"^{2 7} وبذلك يصبح عدد الأضداد مائة وأربع كلمات، وهذا يعني أن هناك أضداد وردت في هذا الكتاب دون الآخر، وهي "لفأ، قرع، وجه، ناء، خلوف، طلب، غافر، طرب، ذفر، قشيب، بلو، ساقب، صرد، عرد"، إلا أن هذا لا يثبت صحة نسبة كتاب الأضداد للأصمعي، فقد ورد، مثلاً، في كتاب الأضداد لابن الأنباري^{2 8}: "والخلوف حرف من الأضداد، يقال: قوم خلوف، إذا كانوا مقيمين، وخلوف إذا كانوا ظاعين، أنشد ابن السكيت:

أصبحَ اليّت بيت آل بيانٍ مُقشّراً والحَيّ حيّ خلوف"

فابن الأنباري نسب الشاهد لابن السكيت ولم ينسبه للأصمعي، على الرغم من أن مادة خلوف وردت في كتاب الأضداد المنسوب إلى الأصمعي دون كتاب ابن السكيت، فبالتالي يصح القول إن كتاب الأضداد، في حقيقة الأمر، هو لابن السكيت وليس للأصمعي.

وقد اختلف الكتابان في بعض الأحيان في أصل الكلمة، فمثلاً الأضداد الآتية "الضراء وأدية وحزور وأخفى والبيع" وردت في كتاب ابن السكيت تحت الجذور "ضري، أدى، حزور، خفى، بيع" أما في الكتاب

الثاني فكانت على النحو الآتي "ضرا، وأدا، حزر، خفا، باع"، وهناك أضداد أخرى أرجعت إلى أصلها المجرد في كتاب ابن السكيت، ولكن بقيت كما هي في الكتاب الثاني، وهي: "إهماد وأكرى"، ولكن هذا لا يعني أن الكتّابين لمؤلفين، إذ أن هذه الفوضى في عنوان المادة كانت في الكتاب الواحد أصلا، فمرة يرجع الضد إلى أصل اشتقاقه، ومرة تترك المادة كما هي، أي لم تكن هناك طريقة موحدة في تحديد المدخل أو المادة اللغوية.

وفيما يلي عرض لأهم الملاحظات التي تثبت أن كتاب الأضداد الذي وصل إلينا، قد نسب إلى الأصمعي بالخطأ:

-نسب أبو الطيب اللغوي للأصمعي كلمة بعض، فقال ⁹2: "ومن الأضداد: قال الأصمعي: بعض الشيء جزء من أجزائه، وقد جاء بعض الشيء أيضا بمعنى كله، وأنشد:

لَوْلا الْحَيَاءُ وَبَعْضُ الشَّيْبِ عَيْتُكُمَا بَيْعُضُ مَا فَيْكُمَا إِذْ عَيْشُمَا عَوْرِي
قال يريد: لولا الحياء والشيب، لأن الشيب لا يتبعّض."

إلا أن هذه الكلمة لا وجود لها في كتاب الأضداد للأصمعي.

-ونسب إليه كلمة الشدف فقال ⁰3: قال الأصمعي: الشدف مثل السدف يكون بمعنى الضوء، وبمعنى الظلمة، ويقال: أشدف الليل، إذا أظلم، وأشفد الصبح، إذا أضاء."

ولكن هذه الكلمة لم ترد في كتاب الأضداد المنسوب للأصمعي، ولا وجود لهذه العبارة أيضا في مادة "سدف"، وكذلك الأمر بالنسبة لكلمة "الأخضر"، فقد قال أبو الطيب اللغوي ¹3: "ومن الأضداد: قال الأصمعي: الأخضر من الألوان معروف، والأخضر أيضا الأسود، قال:

والعرب تسمي الأخضر أسود، والأسود أخضر... قال الأصمعي: ومنه سمّي سواد العراق، لكثرة الخضرة والأشجار والماء فيه". إلا أن هذه الكلمة لم تكن ضمن كتاب الأضداد المنسوب إلى الأصمعي.

- وقال أبو الطيب أيضا^{2 3}: "قال الأصمعي: يقال عصمني فلان يعصمني، إذا كنتك ومنع منك، واعتصمت به اعتصاما إذا لجأت إليه".

فمادة "عصم" أيضا من الأضداد التي لم يأت ذكرها في كتاب الأضداد المنسوب للأصمعي على الرغم من نسبتها إليه، بالإضافة إلى مادتي "العلّ" و"التّعف"، فقد قال أبو الطيب^{3 3}: "قال الأصمعي: العلّ الكبير من كل شيء، والعل الصغير من كل شيء أيضا، ومنه سمّي القرد علاّ"، وقال^{3 4}: "قال الأصمعي: التّعف: ما ارتفع عن بطن المسيل، والتّعف: ما انخفض عن الجبل، والجمع منهما نِعاَف"، فهاتان الكلمتان من الأضداد التي ذكرها الأصمعي في كتابه الأصلي.

- كما نسب أبو عبيد كلمة "المشيح" إلى الأصمعي، فقال^{3 5}: "وقال الأصمعي: المشيخ الجاد، والمشيخ: الحذر"^{3 6}، وهذا ما أكده السيوطي في كتابه المزهر^{3 7} نقلا عن أبي عبيد، لكن بالرجوع إلى كتاب الأضداد المنسوب إلى الأصمعي نجد مفردة الشيح والتي تدل على المعنى ذاته، أما المشيخ فلا وجود لها.

- وجاء في كتاب الأضداد لابن السكيت في مادة قدع^{3 8}: "والقدوع الذي يقدّع أي يردع ويكف، والقدوع المقدوع، وأنشد الأصمعي للشماخ:

إِذَا مَا اسْتَأْفَهْنَ ضَرَبْنَ مِنْهُ مَكَانَ الرُّمَحِ مِنْ أَنْفِ الْقَدُوعِ

إلا أن هذا الشاهد لا وجود له في مادة قدع، من كتاب الأضداد المنسوب للأصمعي.

-الأقوال التي أخذها اللغويون عن الأصمعي تختلف كثيرا عما جاء في الكتاب المنسوب إليه، وهذا يتجلى مثلا في مادة "ذفر":

كتاب الأضداد لأبي الطيب 40 للغوي	كتاب الأضداد المنسوب 39 للأصمعي
قال الأصمعي: الذَّفر: الريح الطيبة، والذفر: الريح المستة، يقال: مسك أذفر، وروضة ذفرة، أي ساطعة الريح، فهذا من الطيب، وقالوا في النتن: فلان أظفر أذفر، أي وافي الأظفار، منتن الريح، كريح صنّان التيس ⁴¹ .	الذَّفر بمعنى الطيب وبمعنى النتن، ويُفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به.

فما جاء في الكتاب المنسوب إلى الأصمعي هو اختصار لما أورده أبو الطيب اللغوي والسجستاني أيضا على لسان الأصمعي.
وكذلك الأمر بالنسبة لكلمة شرى:

كتاب الأضداد لأبي الطيب 43	كتاب الأضداد المنسوب 42 للأصمعي
قال الأصمعي: اشترت الشيء على وجهين، وشريته أيضا على وجهين. يقال: اشترت الشيء، وأعطيت ثمنه اشتراء، وشريته شري وشراء، واشتريته أيضا، وشريته، إذا بعته فأخرجته من يدك، وأخذت ثمنه، قال: وأوضح الوجهين في شريته معنى البيع.	شرى: شراه: ملكه بالبيع وأيضا باعه، فمن الشراء بمعنى البيع قول الكتاب العزيز (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) ⁴⁴ وقوله تعالى: (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) ⁴⁵

فما ورد في كتاب الأضداد لأبي الطيب نقلا عن الأصمعي مختلف
تماما عما ورد في الكتاب المنسوب للأصمعي.

- وقال أبو الطيب اللغوي^{4 6}: "قال الأصمعي: المائل: المتصب،
والمائل: الذاهب حتى لا تراه".

وهذه العبارة أيضا لا وجود لها في مادة "مثل" من كتاب الأضداد
المنسوب إلى الأصمعي^{4 7}.

- وقال أبو الطيب في مادة الجون^{4 8}: "وأشد الأصمعي لابن مقبل:

واطأته بالسرى حتى تركت به ليل التمام ترى أعلامه جونا"

أي سودا، كذا قال الأصمعي"

ورواه غير الأصمعي: ترى أسدافه جونا، وهذا ما ورد في كتاب
الأضداد لابن السكيت، والذي قال بعد ذكر الشاهد: "ورواه الأصمعي:
أعلامه جونا"^{4 9}، والعبارة نفسها نجدها في كتاب الأضداد لابن
الأنباري^{5 0}، ولكن بالعودة إلى كتاب الأضداد المنسوب إلى
الأصمعي^{5 1} لا نجد هذه الرواية، مما يؤكد أن الكتاب ليس له، وهذا ما
نراه أيضا في رواية الشاهد المدرج في مادة "هجد"، حيث جاء في كتاب
الأضداد المنسوب إلى الأصمعي^{5 2}: "قال الخطيئة:

فَحَيَّاكَ وَدُّ مَا هَدَاكَ لِفَتْيَةٍ وَخُوصٍ بِأَعْلَى ذِي طَوَالَةٍ هُجِدَ"

ولكن أبا الطيب قال^{5 3}: "ورواه الأصمعي: فَحَيَّاكَ رَبِّي"، مما يعني
أن الشاهد لم يروه الأصمعي.

- وقال أبو الطيب في مادة "شوه"^{5 4}: "وقال الأصمعي: الشَّوْه في
الناس قبح المنظر. رجل أشوه، وامرأة شوهاء، إذا كانا قبيحي المنظر، فإذا
وصفوا الفرس بذلك فإنما يريدون به سَعَة الأَشْدَاق، وهو مدح في الخيل"

وهذه العبارة أيضا لا وجود لها في مادة "شوه" من كتاب الأصمعي⁵⁵، هذه المادة التي حوت النص نفسه الموجود في كتاب الأضداد لابن السكيت.

- وجاء أيضا في كتاب الأضداد لأبي الطيب⁵⁶: "وقال الأصمعي: يقال: اجْلَعَبَ الرجل، إذا سقط على وجهه، واجلعبَ الفرس، إذا امتد في جريه، ومنه بناء جَلْعَاء... وأنشد الأصمعي:

وَيْلَ أُمِّهَا نَاقَةٌ جَذَبَ وَقُرَّرَ رَعَشَتَهُ الْوَرْدُ جَلْعَابَةُ الصَّدْرُ"

وهذه العبارة تختلف تماما عما ورد في كتاب الأضداد المنسوب إلى لأصمعي، والشاهد أيضا محذوف، وعند مقارنة العبارة الواردة في كتاب الأصمعي بالعبارة الواردة في كتاب ابن السكيت، نجد أنها نسخة طبق الأصل، مما يثبت فرضية أن كتاب الأضداد المنسوب إلى الأصمعي ما هو إلا رواية أخرى لكتاب الأضداد لابن السكيت، والاختلافات اليسيرة الموجودة بين الكتاتين لا تنفي هذا، فكما ذكر محمد حسين آل ياسين أن ابن السكيت كان مولعا بإعادة النظر في كتبه وبتنقيحها⁵⁷، فيحذف عبارات ويضيف أخرى، وربما هذا ما فعله مع كتابه "الأضداد".

- وقال البغدادي⁵⁸: "وهذا الرجز⁵⁹ أورده أبو زيد في نوادره، والأصمعي في كتاب الأضداد، وقال: أشكيت الرجل، إذا أتيت إليه ما يشكو منه، وأشكيت: نزعته عنه شكايته. وكذا قال ابن السكيت (في أضداده)، وأنشد هذا الرجز".

فالبغدادي استند إلى كتاب الأصمعي فكتاب ابن السكيت، وقال في موضع آخر⁶⁰: "والبيت الشاهد الذي قال الفراء لا أحفظ صدره، رواه مع صدره ابن السكيت في (كتاب الأضداد)، وهو:

وَلَتَعْرِفَنَّ خَلَايَئَهَا مَشْمُولَةً وَلَتَتَذَمَّنَّ وَلَاتَ سَاعَةً مِّنْهُمْ

فالبغدادى الذي كان بين يديه كتب الأضداد، بما فيها كتاب الأضداد للأصمعي، الذي كان يحيل عليه أولا ثم يشير إلى كتاب الأضداد لابن السكيت، مثلما فعل في المثال الأول، نسب القول لابن السكيت مباشرة ولم ينسبه إلى الأصمعي مع أنه ورد في الكتاب المنسوب إليه^{1 6}، وهذا يعني أن كتاب الأصمعي الذي كان بحوزة البغدادى لم يذكر فيه الشاهد، أي أنه غير كتاب الأضداد الذي وصلنا.

-وأیضا ما ورد في "شرح أبيات مغني اللبيب" دليل قاطع على أن كتاب الأصمعي الموجود لدينا ما هو إلا رواية أخرى لكتاب الأضداد لابن السكيت، حيث جاء فيه^{2 6}: "وقد أورد ابن السكيت كلمة سوى في كتاب الأضداد فقال: وقال غير الأصمعي: سواء الشيء غيره، وسواء الشيء نفسه..."

وقد وردت هذه العبارة أيضا في كتاب الأضداد المنسوب إلى الأصمعي مما يدل على أنه في حقيقة الأمر لابن السكيت لا غير.

وفي الختام أستطيع القول أن كتب التراجم كلها قد أقرت بوجود كتاب الأضداد للأصمعي، وكتاب آخر لابن السكيت، ولكن بعد المقارنة بين الكتابين والاستعانة بكتب التراث الأخرى كالغريب المصنف لأبي عبيد وكتاب الأضداد لابن الأنباري وكتاب الأضداد لأبي الطيب اللغوي وغيرها تأكد لي أن ما وصلنا ليس بكتاب الأضداد للأصمعي، مما يعني أن هذا الكتاب لا يزال مفقودا مع ما فقد، أما الكتاب الموجود بين أيدينا فما هو إلا رواية أخرى عن كتاب الأضداد لابن السكيت، وإن وجدت بعض أوجه الاختلاف بين الروایتين، فربما هذا راجع إلى أن ابن السكيت

أعاد تنقيح مؤلفه، فحذف عبارات وأضاف أخرى، والمهم في الأمر أنه تم الفصل في قضية نسبة كتاب الأضداد إلى الأصمعي لأخلص، بالدليل القاطع، إلى استحالة نسبته إليه.

الهوامش

¹ - ينظر: طبقات النحويين واللغويين - الزبيدي الأندلسي - ت محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة - مصر - ط. 2 - د. ت - ص 167 وإنباه الرواة - القفطي - ت محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - القاهرة - مصر - ط. 1 - 1406هـ / 1986م - 2 / 198 وبغية الوعاة - السيوطي - ت محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر - ط. 2 - 1399هـ / 1979م - 2 / 112.

² - إنباه الرواة - القفطي - 2 / 201.

³ - مراتب النحويين - أبو الطيب اللغوي - ت محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة نهضة مصر - القاهرة - د. ط - د. ت - ص 46.

⁴ - الوافي بالوفيات - الصفدي - ت أحمد الأرناؤوط وتركبي مصطفى - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط. 1 - 1420هـ / 2000م - 19 / 126.

⁵ - وفيات الأعيان - ابن خلكان - ت إحسان عباس - دار صادر - بيروت - د. ط - د. ت - 3 / 171.

⁶ - ينظر: إنباه الرواة - القفطي - 2 / 203 ووفيات الأعيان - ابن خلكان - 3 / 172 والوافي بالوفيات - الصفدي - 19 / 128 وبغية الوعاة - السيوطي - 2 / 113 وخزانة الأدب - عبد القادر البغدادي - ت: عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط. 1 - 1403هـ / 1983م - 11 / 316 وهدية العارفين - واسماعيل البغدادي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - د. ط - 1 / 623.

⁷ - معجم المعاجم - أحمد الشرقاوي إقبال - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - ط. 2 - 1993م - ص 296.

- ⁸-ينظر: الأضداد في اللغة- محمد حسين آل ياسين- مطبعة المعارف- بغداد- ط. 1- 1394هـ / 1974م- ص: من 368 إلى 373.
- ⁹-المرجع نفسه- ص 274.
- ¹⁰-مدخل تعريف الأضداد- حسين نصار- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط. 1- 1423هـ / 2003م- ص 92.
- ¹¹-ثلاثة كتب في الأضداد- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت- المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين- بيروت- د. ط- 1912م- ص 163.
- ¹²-كتاب الأضداد- قطرب- ت: حنا حداد- دار العلوم للطباعة والنشر- الرياض- المملكة العربية السعودية- ط. 1- 1405هـ / 1984م- ص 7.
- ¹³-ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت- ص: 72.
- ¹⁴-كتاب الأضداد- ابن الأنباري- ت: محمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- د. ط- 1407هـ / 1987م- ص 1.
- ¹⁵-ثلاثة كتب في الأضداد- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت- ص 20.
- ¹⁶-المصدر نفسه- ص: 175.
- ¹⁷-ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى- ت: علي حسن فاعور- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط. 1- 1408هـ / 1988م- ص 140.
- ¹⁸-ثلاثة كتب في الأضداد- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت- ص: 54 و 55.
- ¹⁹-المصدر نفسه- ص 205 و 206.
- ²⁰-ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى- ص 56.
- ²¹-ثلاثة كتب في الأضداد- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت- ص 18.
- ²²-المصدر نفسه- ص 174.
- ²³-المصدر نفسه- ص 7 و 8.
- ²⁴-المصدر نفسه- ص 167.

- ²⁵-ينظر: المصدر نفسه- ص14 وكتاب الأضداد- ابن الأنباري- ص 171 والأضداد في كلام العرب- أبو الطيب اللغوي- ت: محمد السيد عثمان- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط.1- 2012م- ص236.
- ²⁶-ثلاثة كتب في الأضداد- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت- ص24.
- ²⁷-المصدر نفسه- ص51.
- ²⁸-كتاب الأضداد- ابن الأنباري- ص210.
- ²⁹-الأضداد- أبو الطيب اللغوي- ص70.
- ³⁰-المرجع نفسه- ص160.
- ³¹-المرجع نفسه- ص112 و113.
- ³²-المرجع نفسه- ص202.
- ³³-المرجع نفسه- ص204.
- ³⁴-المرجع نفسه- ص254.
- ³⁵-الغريب المصنف- أبو عبيد- مكتبة نزار مصطفى الباز- الرياض- المملكة العربية السعودية- ط.1- 1418هـ/1997م- ص399.
- ³⁶- جاء في الغريب المصنف المشيخ الجذر، وهذا تصحيف، وتصحيحه من المزهري.
- ³⁷-المزهري- السيوطي- ت الشرييني شريدة- دار الحديث- القاهرة- د.ط- 1431هـ/2010م- 320/1.
- ³⁸- ثلاثة كتب في الأضداد- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت - ص206
- ³⁹-المصدر نفسه- ص58.
- ⁴⁰-الأضداد- أبو الطيب اللغوي- ص127.
- ⁴¹-نسب السجستاني أيضا هذه العبارة للأصمعي. -ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت- ص96.
- ⁴²-المصدر نفسه- ص59.
- ⁴³-الأضداد- أبو الطيب اللغوي- ص162.

- 44- سورة البقرة- الآية 205.
- 45- سورة يوسف- الآية 20.
- 46- الأضداد- أبو الطيب اللغوي- ص 246.
- 47- ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت- ص 31.
- 48- الأضداد- أبو الطيب اللغوي- ص 90.
- 49- ثلاثة كتب في الأضداد- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت - ص 190.
- 50- ينظر: كتاب الأضداد- ابن الأنباري- ص 113.
- 51- ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت - ص 37.
- 52- المصدر نفسه- ص 40.
- 53- الأضداد- أبو الطيب اللغوي- ص 266.
- 54- المرجع نفسه- ص 167.
- 55- ينظر: ثلاثة كتب في الأضداد- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت - ص 32.
- 56- الأضداد- أبو الطيب اللغوي- ص 92.
- 57- وقد ذكر محمد حسين آل ياسين هذا الدليل ليثبت صحة نسبة كتاب الأضداد لابن السكيت، ولكن في الحقيقة أن هذا الدليل عليه وليس له. - ينظر: الأضداد في اللغة- محمد حسين آل ياسين- ص 369.
- 58- خزانة الأدب- البغدادي- 11/ 316.
- 59- الرجز هو مَسْ حَوَايا قَلْما نُجْفِها. - ينظر المرجع نفسه- 11/ 317.
- 60- المرجع نفسه- 4/ 174.
- 61- ينظر ثلاثة كتب في الأضداد- الأصمعي والسجستاني وابن السكيت - ص 18.
- 62- شرح أبيات مغني اللبيب- البغدادي- ت: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق- دار الثقافة العربية- دمشق- ط. 2- 1414هـ/ 1993 - 4/ 16.